شوارد منثورة، وشذرات مرقومة (١)

يَا بُنَيَّ
دُونَكَ مَعْرِضَ الْكِتَابِ

رقمه

أحمد بن بنيان بن إبراهيم الحيسوني

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

إِلَى ابْنِي الْأَنِيسِ .. الرَّفِيقِ الْجَلِيسِ ..
ابْنِي الْهُمَامِ .. ذُو الْعَشَرَةِ الْأَعْوَامِ ..

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ

رَأَيْتُكَ مُنْذَ نُعُومَةِ أَظْفَارِكَ لِلْكِتَابِ قَارِئًا، وَلِلْعِلْمِ نَهِمًا، تُكْثِرُ السُّؤَالَ، وَتَتَأَمَّلُ فِي الْجَوَابِ، فَرَسَمْتُ فِيكَ مِنْ صِغَرِكَ آمَالًا، وَأَمَّلْتُ لَكَ فِي الْعِلْمِ مَقَامًا.

لَا زِلْتُ أَذْكُرُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَالَّتِي حَذَّرْتُكَ مِنْ مُجَاوَزَةِ حِزْبِكَ الْيَوْمِيِّ فِي قِرَاءَتِهِ؛ فَكُنْتَ تَنْتَهِزَ انْشِغَالَ فِكْرِي، وَكَثْرَةَ عَمَلِي، فَتَأْخُذُ الْحِزْبَيْنِ وَالثَّلَاثَ.

وَلَرُبَّمَا كَانَ الشَّوْقُ يَدْفَعُكَ بَعْدَ عودتك من مَحْاضِنِ الدراسة، إلى خَطْفِ الْكِتَابَ، وَكَأَنَّهُ مُلْتَقَى أَمَانِكَ، وَمَصْدَرُ إِلْهَامِكَ، وَتُحَاوِلُ أَنْ تُشْبِعَ نَهَمَتَكَ فِي سَرْدِهِ، وَتِكْرَارِ جَرْدِهِ.

تَأْسِرُكَ سِيرَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُعْجِبُكَ خُلُقُ الصِّدِّيقِ، وَتَأْنَسُ بِحُكْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَتَنْظُرُ إِلَى سِيرَةِ ذِي النُّورَيْنِ، وَتَفْرَحُ بِصِهْرِ النَّبِيِّ حَيْدَرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

سَأَلْتَنِي مِرَارًا عَنْ أَسْبَابِ سُقُوطِ الدَّوْلَةِ الأُمَوِيَّةِ، وَانْبَهَرْتَ فِي حَجْمِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَعَنْ تَغَيُّرِ الْحُكْمِ مِنْ الْخُلَفَاءِ إِلَى الْأُمَرَاءِ، فَأَحْيَانًا أَجِدُ لِلسُّؤَالِ جَوَابًا، وَأَحْيَانًا أَسْكُتُ لَكَ إِعْجَابًا.

وَإِنِّي نَاصِحُكَ أَيُّهَا الْفَتِيَّ السَّرِيعُ، بَيْنَ يَدَيْ افْتِتَاحِ مَعْرِضٍ لِلْكِتَابِ:

أَوَّلًا: اجْعَلْ هَمَّكَ الْأَوَّلَ مَرْضَاةَ مَوْلَاكَ، فَاعْبُدْهُ وَأَحْسِنْ عِبَادَتَكَ لِإِيَّاهُ، فَالتَّوْفِيقُ فِي كُنُوزِهِ، وَلَا يَفُوزُ فِيهِ إِلَّا مَنْ ارْتَضَاهُ.

ثَانِيًا: لَا يُشْغِلْكَ قِرَاءَةُ الْكِتَابِ عَنْ وِرْدِكَ الْقُرْآنِي، فَهُوَ الْهُدَى وَالنُّورُ، وَفِيهِ الطُّمَأْنِينَةُ وَالسُّرُورُ.

ثَالِثًا: خُذْ مِنَ الْكُتُبِ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَشِرْ مَنْ بِنُصْحِهِ يُرْشِدُكَ، فَبَعْضُ الْكُتُبِ كَالْفَوَاكِهِ الشَّهِيَّةِ، وَبَعْضُهَا كَالسُّمِّ فِي الدَّسِيمَةِ، تُغْرِي بِعُنْوَانِهَا، وَتُضِلُّ بِمَضْمُونِهَا، فَكُنْ فِيهَا بَصِيرًا، وَاقْتَنِ مَا يُقَوِّي فَهْمَكَ، وَيُهَذِّبُ خُلُقَكَ، وَيُرَقِّي عَقْلَكَ، وَيُقَرِّبُكَ مِنْ رَبِّكَ، فَإِنَّ الْكِتَابَ إِنْ لَمْ يَزِدْكَ خَشْيَةً وَفِقْهًا، فَهُوَ عَلَيْكَ لَا لَكَ.

خُذْ مِنَ التَّفْسِيرِ: (غَرِيبُ الْقُرْآنِ)، وَمِنَ الْمُعْتَقَدِ (لَامِيةُ ابْنُ تَيْمِيَةُ)، وَمِنَ التَّجْوِيدِ: (تُحْفَةَ الْأَطْفَالِ)، وَمِنَ الْحَدِيثِ: (الْأَرْبَعُونَ النَّوَوِيَّةُ)، وَمِنَ

الْفِقْهِ: (آدَابُ الْمَشْيِ إِلَى الصَّلَاةِ)، وَمِنَ الْأَدَبِ: (تَائِيَّةُ الْأَلْبِيرِي)، وَمِنَ الشِّعْرِ: (دِيوَانُ الشَّافِعِي).

رَابِعًا: الْحِفْظَ الْحِفْظَ، فَكُلُّ حَافِظٍ إِمَامٌ، وَمَنْ حَفِظَ الْمُتُونَ حَازَ الْفُنُونَ، فَاحْفَظِ الْقُرْآنَ وَاتْبَعْهُ بِالْحَدِيثِ، وَاطْلُبْ مِنْ شَيْخِكَ القِرَاءَةَ عَلَيهِ فِي الْفِقْهِ وَالتَّفْسِيرِ، وَفِي سَاعَاتِ اسْتِجْمَامِكَ اقْرَأْ فِي الْحِكَمِ وَالتَّارِيخِ وَالسِّيَرِ، تَخْطُو حِينَهَا دَرَجَاتِ الْعُلُومِ، وَتَرْتَقِي مَنَابِرَ الْفَهْمِ.

خامسًا: وَإِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الِانْشِغَالِ فِي الشِّرَاءِ، وَأَنْ تَجْعَلَهَا رَهِينَةَ الرُّفُوفِ، تَفْرَحُ بِصُورَتِهَا، وَتَجْهَلُ مَكْنُونَهَا، وَعَلَيْكَ بِقِرَاءَةِ مَا اقْتَنَيْتَ.

سادسًا: قَالُوا قَدِيمًا: (الْكِتَابُ يُعْرَفُ مِنْ عُنْوَانِهِ)، فَأَحْسِنْ مَلْبَسَكَ، وَجَمِّلْ مَظْهَرَكَ، وَأَحْسِنْ مَنْطِقَكَ، تَكْسِبْ إِعْجَابَ الْحَاضِرِينَ، وَيَطِيرْ صِيتُكَ إِلَى مَا بَيْنَ الْغَابِرِين.

وفي الْخِتَامِ يطِيبُ الْكَلَام:

أُذَكِّرُكَ بِأَخِيكَ الْغَالِي، صَاحِبِ الْخُلُقِ الْمِثَالِي، الْأَدِيبِ الْأَرِيبِ، اللَّطِيفِ فِي مَحْيَاهُ، الْآسِرِ فِي الحَدِيثِ الْمُبْدِي إِيَّاه...

فَأَنْتَ لَهُ الْقُدْوَةُ الْمُحْتَذَى بِهِ، فَأَحْسِنْ إِلَيْهِ صُحْبَتَكَ، وَأَلِنْ لَهُ جَانِبَكَ، وَطَيِّبْ لِأَجْلِهِ حَدِيثَكَ، وَأَكْرِمْ لَهُ فِي تَوْجِيهِكَ وَتَعْلِيمِكَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ الْأَمِين

وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ